صلة المسيح
(يوحنا ١٥: ١-١١)

تأليف: تومي ساوث

يتحدث إنجيل يوحنا ١٥: ١-١١ عن «صلة المسيح». عندما تحدث يسوع عن الكرمة والأغصان، وقد أكد باننا ملتصقين بالمسيح. نحن نحتاج إلى تلك الرسالة. كتب جيمس و. بيرد قبل بضع سنوات ما يلي:

> أعتقد بانه يجب على ا لكنيسة أن تعطي تكريسا أكبر إلى شخص المسيح، وإلا فستواجه النتيجة المحتومة في ان تصير كالعالم وبعدم اهتمام روحي. تكون هناك قوة فعالة نشطة تجعل مباديء الحياة المسيحية تدوم وهذا ما يأمر به الكتاب المقدس فقط عندما يكون المسيح في المركز. عندما نحيا الحياة المسيحية بعلاقة شخصية مع المخلص، حينئذ يكون هناك احساس روحي لبغض الخطية، والمقدرة على التكريس المسيحي والتضحية.

كتب رو بورتر في سنة ١٩٥١ ما يلي:

> ... نحن المبشرون نضع أكثر التشديد على إنجيل المسيح عوضاً عن مسيح الإنجيل ... قد وضع كل الحق الإلهي في المسيح وعلى المسيح. وان عمل الحق ضروري لمعرفة المسيح، ولكننا قد عرفنا المسيح الذي أخبرنا الإنجيل عن حياته وشخصه، ولهذا أهمية كبرى.

ليست ديانتنا مسألة عقيدة وتعاليم فقط. ولا هي عن عمل الصلاح أو مساعدة الآخرين. ولا هي عن ممارسة الطقوس الدينية في مبنى الكنيسة. إذا كان على ديانتنا أن ترضي الله، فينبغي أن تشمل على علاقة حميمة مع ربنا؛ المسيح هو مركز المسيحية ومحيطها، بدايتها ونهايتها، مبدعها ومنهيها. إن لم نعش بقربه، وبمعرفة وجود المسيح في حياتنا، لا تكون ديانتنا على ما ينبغي لها أن تكون.

لكي نقترب من المسيح، لنتأمل ما يعلمه إنجيل يوحنا ١٥: ١-١١ بما يختص بصلة المسيح.

قرب الصلة (العلاقة) بين كل مسيحي والمسيح

ما أقرب المسيح إلى المسيحيين؟ هو قريب قرابة الغصن إلى الكرمة الحقيقية! يبدأ يسوع بقول: «أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرّام» (يوحنا ١٥: ١). وقال في ما بعد: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان» (يوحنا ١٥: ٥). تأمل شجرة العنب، ما أقرب الأغصان إلى الكرمة؟ انها ملتصقة بها بحيث يصعب التمييز بينهما. هكذا أيضاً صلة المسيح مع المسيحيين!

يضع العهد الجديد التوكيد على هذه الصلة في كثير من نصوصه. عندما نصير مسيحيين، نعتمد ليسوع المسيح، ونُدفن معه بالمعمودية ... حتى كما أقيم المسيح من الأموات ... هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة (أنظر رومية ٦: ٣-٥). يقول بولس أيضاً بانه عندما نعتمد بالمسيح، قد لبسنا المسيح (أنظر غلاطية ٣: ٢٧). نحن كمسيحيين يمكن ان نقول:

> فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ (غلاطية ٢: ٢٠).

> فالحياة عندي هي المسيح (فيلبي ١: ٢١؛ كتاب الحياة).

لأننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن (رومية ١٤: ٨).

{حياتنا} مستترة مع المسيح في الله (كولوسي ٣: ٣).

المسيح {فينا} رجاء المجد (كولوسي ١: ٢٧).

علينا أيضاً أن نقدّر حقيقة هذه الصلة التي هي مسألة شخصية. كل مسيحي هو غصن! تأمل في ما قاله يسوع في إنجيل يوحنا ١٥: ٦: «إن كان أحد لا يثبت فيّ، يُطرح خارجاً كالغصن فيجف، ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق». يطرح كل شخص «كالغصن» ... كل واحد هو غصن. فالأغصان إذن هي علاقة الأفراد وليست الكنائس. سُئل مسيحي ذات مرة أية كنيسة ينتمي إليها. فأجاب: انتمي إلى «الكنيسة». فأذهلت هذه الإجابة السائل، فسأل أيضاً: «ولكن أية كنيسة؟». «أعرف انك عضو في الكنيسة العالمية، ولكن أي فرع لك عضوية فيه؟» أجاب المسيحي«اني لست عضوا في أي فرع؛ لأنني فرع بحد ذاتي!» هذا صحيح تماماً! كل مسيحي هو فرع {أي غصن} بنفسه!

توجد لهذه الفكرة مضامين تطبيقية. هذا يعني بان صلتك بالمسيح لا تعتمد على أي شخص آخر. نحن متصلين بالمسيح ليس ككنيسة فقط، بل كأفراد أيضاً. لا يجب أن تأتي إلى المسيح بواسطة كاهن تم تكريسه أو بواسطة قديس فقط. علاقتك مع المسيح لا تعتمد على الواعظ أو المبشر أو على شيوخ الكنيسة أو على أي شخص آخر، بل تعتمد عليك انت فقط.

الحاجة إلى المحافظة على تلك الصلة القريبة مع المسيح

يقول النص بكل وضوح بانه يمكن قطع علاقتنا الحميمة مع المسيح: «إن كان أحد لا يثبت فيّ، يطرح خارجاً كالغصن فيجف، ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق» يوحنا ١٥: ٦). إذاً المحافظة على تلك الصلة يتوقف علينا. قال يسوع هذا مراراً وتكراراً طالباً منا البقاء فيه:

اثبتوا فيّ ... (يوحنا ١٥: ٤).

أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير ... (يوحنا ١٥: ٦).

إن ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم (يوحنا ١٥: ٧).

إن حفظتم وصاياي تثبتون في محبتي ... (يوحنا ١٥: ١٠).

أثبت في المسيح! هذه وصية. وهذه الوصية تخبرنا بانه إذا كانت لدينا صلة وثيقة مع المسيح أم لا فان ذلك لا يتوقف على المسيح بل علينا نحن! إن لم نكن نشعر كروحيين، وإن كنا نشعر باننا بعيدين عن المسيح، نعرف حينئذ بان هذا ليس ما يطلبه المسيح! بل يكون السبب هو إخفاقنا في الثبوت فيه، وفي البقاء فيه.

ولكن كيف تحافظ على صلة وثيقة مع ربك. يمكن التفكير في عدة طرق:- اقرأ عن المسيح: وتأمل في ما تقرأه. اقرأ الأناجيل بانتظام، فستتعلم ان تحب المسيح أكثر فأكثر.

سبح المسيح في خدمات العبادة الكنسية وفي تأملاتك الخاصة، ومن المحتمل جداً ان نصير كالذي نعبده.

أحضر خدمات العبادة حيث يمكنك أن تعلم عن المسيح - مدارس الأحد وخدمات العبادة في صباح أيام الأحاد ومساءها (إن وجدت). لا يمكن أن أتصور شخصاً يريد أن يقترب من المسيح وفي الوقت نفسه يغيب عن القصد من الاجتماعات التي يُبشر فيها بالمسيح ويُعلّم كلمته.

كن مع الذين يحاولون أن يمتثلوا بالمسيح: ستقلد مثالهم. انه صحيح أيضاً بانك إذا قضيت معظم أوقاتك مع الذين يعيشون عكساً لطريقة المسيح، ستميل إلى اتباع مثالهم. وصحيح أيضاً بان «المعشارات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة» (١ كور ١٥: ٣٣).

اجتهد لأن تتبع نموذج المسيح في حياتك، وأن تتبع اثره (١ بطرس ٢: ٢١).

فكر في المسيح: يركز الذين يعلمون آخرين بطريق النجاح علي هذه النقاط: «ستصير ما تفكر عنه طول اليوم». إذا وجب علينا أن نكون مثل المسيح أكثر فأكثر ونعيش بقربه، فيجب أن نفكر به طول اليوم!

هذا بالإضافة إلى انه يوجد لهذا النص مطلبين بالتحديد:

أولاً: يطالبنا بالثبوت في كلام المسيح. صرنا أنقياء مبدئياً بكلمة المسيح: «أنتم الآن أنقياء بسبب الكلام الذي كلمتكم به» (يوحنا ١٥: ٣). قبل أن نفكر في البقاء بقرب المسيح يجب أن نكون متصلين به. وقبل أن نأتي بثمار يجب أن نختبر الحياة. نحصل على تلك الصلة عندما نرجع إلى المسيح بإيمان وطاعة – بان نؤمن به ونترك خطايانا، ونعترف باسمه ونعتمد به. ولكننا لم نتحد معه بالكلمة وحسب، بل نبقى فيه أيضاً بالثبوت في كلمته، أو بان نجعل كلمة المسيح تثبت فينا. قال يسوع: «إن ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم، تطلبون ما تريدون فيكون لكم» (يوحنا ١٥: ٧). لا توجد وحدة حقيقية مع المسيح، ولا حياة روحية حقيقية من غير فهم كلمة الله وإطاعتها.

ثانياً: ومشابها للأول، يطالبنا النص بحفظ وصايا المسيح، إذ يقول: «إن حفظتم وصاياي، تثبتون في محبتي، كما أني حفظتُ وصايا أبي وأثبتُ في محبته» (يوحنا ١٥: ١٠). إذا أردت أن تبقى قريباً من المسيح، فمن الضروري جداً أن تفعل ما يقوله يسوع.

كلنا نعرف بعض من الذين عندهم غيرة لديانتهم – الذين يحسون بانهم قريبين جداً من المسيح، والذين «يشهدون» عن خلاصهم على نحو منتظم. بينما نتعجب بما لهم من غيرة وحماسة، نتسأل: هل أطاعوا الرب حقاً بحفظ وصاياه؟ قد يكونون مثل الناس الذين تحدث عنهم يسوع في إنجيل متى ٧: ٢١–٢٣:

> ليس كل من يقول لي: «يا رب، يا رب!» يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم: «يا رب، يا رب، أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟» فحينئذ أُصرّح لهم: «إني لم أعرفكم قط! اذهبوا عني يا فاعلي الإثم!

ما الذي يحثنا على البقاء بقرب المسيح؟ يتضح انه يجب ان نبقى قريبين من المسيح بسبب العواقب عند الاخفاق في البقاء فيه. إن لم نبقى فيه: (١) لا نقدر أن ننتج ثمار – «... كما ان الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة، كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيَّ» (يوحنا ١٥: ٤). (٢) لا نقدر أن ننجز أي عمل – «... لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يوحنا ١٥: ٥). (٣) سنُقطع – «إن كان أحد لا يثبت فيّ، يُطرح خارجاً كالغصن ...» (يوحنا ١٥: ٦).

الغرض من الصلة الوثيقة بالمسيح

لماذا نقترب من المسيح؟ هل لكي نستطيع الافتخار بالصلة، والقيم الروحية؟ هل لكي نتمتع بتلك العلاقة دون وجود اية نية علي مشاركة الآخرين فيها؟ كلا! يتضح بان هذا النص يعلم بان القصد من صلتنا {بالمسيح} هو انتاج ثمار! ما هو سبب نمو الغصن في شجرة العنب؟ انه لإنتاج العنب! كما ان السبب في الثبوت على تيلة القطن هو لإنتاج القطن، والسبب في نمو الغصن على شجرة الدراق هو لإنتاج الدراق. إن لم نأتي بثمار، فهذا يعني اننا لا نفي بالغرض.

قد يُجعل النص يقول أكثر مما قصد منه، ولكن ملاحضة بانه توجد علاقة متبادلة بين الكرمة والأغصان في عالم الطبيعة لامر مثير للعجب. تمد الكرمة الأغصان بالغذاء (الماء والمواد الغذائية الأخرى). ولكن لا تقدر الكرمة ان تنتج ثمر بحد ذاتها. إذا فكرنا في عمل النبات، لا يمكن ان يكون كاملاً من غير الأغصان. وهكذا أيضاً الكرمة والأغصان بالمفهوم الروحي: (١) تمد الكرمة الأغصان بالمواد الغذائية. (٢) يحتاج يسوع إلينا لكي ينجز كل ما يريد إنجازه في هذا العالم. على

سبيل المثال: جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك، ولكنه يريد مشاركتنا في خلاص ما قد هلك، وفي الكرازة بالإنجيل.

بما ان مسؤليتنا هي انتاج الثمار، فينبغي ان نطرح السؤال التالي: ما هي الثمار التي يجب أن ننتجها؟ توجد بضع أجوبة محتملة لهذا السؤال. يتحدث العهد الجديد عن «ثمر الروح» (غلاطية ٥: ٢٢ و٢٣)، و«ثمر النور» (أفسس ٥: ٩)١ و«ثمر البر» (فيلبي ١: ١١؛ يعقوب ٣: ١٨).

تفسير آخر للأصحاح ١٥ من إنجيل يوحنا هو: ينبغي أن ننتج آخرين أمثالنا. يكون هذا أيضاً تمشياً مع النصوص الأخرى التي توحي بان اهتداء الآخرين هو كإنتاج الثمر للمسيح (رومية ١: ١٣؛ فيلبي ١: ٢٢؛ ٤: ١٧). لا نريد أبداً تطبيق هذا النص بطريقة قانونية، أي ان نقول بانه إن لم نعطي بالثمر – باهتداء شخص ما إلى المسيح، سنُطرح خارجاً كالغصن ... ونُطرح في النار فنُحرق (يوحنا ١٥: ٦). وأيضاً يمكن ان نقول بانه عندما تتاح لنا الفرصة يجب أن نبذل أقصى الجهد لنأتي بآخرين إلى المسيح. النقطة الأساسية هي ان الرب لا يريد أن نكون صالحين فقط، بل يجب أن تكون نتيجة ثبوتنا في المسيح مرئية لنا ولآخرين.

ولكن الجدير بالذكر هو ان يسوع لا يريد ان ننتج عدد قليل فقط من الثمار! لاحظ المراحل الأربع التي يتم فيها انتاج الثمر في هذا النص: (١) لا ثمر: «كل غصن فيّ لا يأتي بثمر ينزعه ...» (الآية ٢). (٢) ثمر: «وكل ما يأتي بثمر، ينقيه ...» (الآية ٢). (٣) مزيد من الثمر: «لينتج مزيداً من الثمر» (الآية ٢). (٤) ثمراً كثيراً: «من يثبت فيّ وأنا فيه، فذاك ينتج ثمراً كثيراً» (الآية ٥). «بهذا يتمجد أبي: أن تنتجوا ثمراً كثيراً فتكونون حقاً تلاميذي» (الآية ٨). أين تجد نفسك على هذا المقياس؟ لم يكتفي ربنا حتى نبذل كل جهدنا للوصول إلى «المرحلة الرابعة».

كيف يجعلنا الرب نأتي بـ «مزيد من الثمر»؟ يقول إنجيل يوحنا ١٥: ٢: «... وكل غصن ينتج ثمراً ينقيه لينتج مزيداً من الثمر». ينقيه! قد يكون بألم! ربما بعض من الأشياء التي حدثت إليك هي الطريقة التي «ينقيك» الله بها لكي تأتي بمزيد من الثمر. خسائر، وأمراض، وخيبة الآمال – هذه كلها قد تكون الطريقة التي يساعدك الله بها لكي تنتج مزيداً من الثمر.

نتيجة صلتنا الوثيقة بالمسيح

إذا ثبتنا في المسيح فماذا يكون المردود؟ (١) قال يسوع باننا نأتي بثمر كثير (يوحنا ١٥: ٥). (٢) سننال ما نطلبه: «إن ثبتم فيّ وثبت كلامي فيكم، تطلبون ما تريدون فيكون لكم» (يوحنا ١٥: ٧). (٣) سيتمجد الله: «بهذا يتمجد أبي أن تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذي» (يوحنا ١٥: ٨). (٤) سنثبت في محبة المسيح

(يوحنا ١٥: ١٠). يحب المسيح الجميع، ولكن الذين يعملون بوصايا المسيح ويبقون دائمي الصلة الوثيقة معه هم الذين يستفيدون من محبته. (٥) سيكمل فرحنا. اختتم يسوع هذا النص بقوله: «كلمتكم بهذا لكي يثبت فرحي فيكم ويكمل فرحكم» (يوحنا ١٥: ١١). يريد لنا

يسوع أن نفرح. كيف نفرح؟ بالمحافظة على صلتنا بالمسيح! إذا بقينا في المسيح سنثمر، سننال ما نطلبه، سنمجد الله، سنثبت في محبة المسيح، وسنفرح! ربما نشعر بكآبة روحية لأننا أخفقنا في المحافظة على صلتنا الوثقة مع المسيح.

الخلاصة

البقاء في المسيح هي مسألة الحياة اوالموت. أيمكن للإنسان أن يحيا بدون قلب؟ أيمكن للسيارة أن تعمل من غير محرك؟ أيمكن للغصن ان يحيا من غير ان يكون ملتصق بالكرمة التي تمده بالمواد الغذائية؟ هكذا أيضاً لا يمكن للمسيحي أن يحيا بدون أن يكون في المسيح. هو مصدر قوتنا ، العنصر الأكثر أهمية للوجود الروحي وهدف حياتنا هو

قلبنا. أبقى في المسيح ولا تنفصل منه!

كان هنالك أخوين يبلغ احدهما العاشرة من العمر، والآخر ستة، كانوا يجلسون معا في قارب صغير يصطادان السمك. فحدث ان اصطاد الأخ الصغير سمكة، ومن شدة فرحه، انتصب على رجليه واقفا مما سب اختلال التوازن للقارب وانقلابه. لم يكن يجيد السباحة، ولكنه استطاع العودة إلى القارب المنقلب والتمسك به، وهكذا فعل أيضاً الاخ الاكبر. ماذا الذي يمكنهما عمله اللان؟ لم يهب لنجدتهم احد. كان الولد الكبير يجيد السباحة وكان يبعد عن الشاطيء حوالي المئة قدم فقط، ولكنه لم يكن بمقدوره سحب أخيه إلى الشاطيء. وقرر أن يسبح إلى الشاطي طلبا للمساعدة. ففعل. وعند وصوله إلى الشاطيء، التفت إلى أخيه الأصغر وهو متشبثا بالقارب بيأس، وصاح به: «تمسك جيدا بالقارب واياك ان تتركه!» ثم ركض بسرعة محاولا ايجاد المساعدة. وبعد عشرة دقائق عاد مع بضعة رجال كان بامكانهم انقاذ اخيه إلى بر الآمان. ولكنهم لم يروا أي أثر للولد. لقد انهكت قواه وأفلت، وجرفته مياه البحيرة القاتمة وضاع.

لقد هلك الولد لأنه افلت من القارب، وهكذا وبنفس الطريقة يضيع المسيحي ويهلك بسبب عدم تمسكه بالمسيح.

إن لم تكن في المسيح، فيمكنك أن تكون في شركة حميمة معه اليوم: يمكن أن تكون لك صلة معه كصلة الغصن بالكرمة!

---

[1] تترجم الترجمة العربية الأكثر تداولاً الكلمة اليونانية زس φωτος الواردة في أفسس والتي تعني «نور» إلى الكلمة العربية «الروح»، بينما تحتفظ ترجمة كتاب الحياة – ترجمة تفسيرية وبعض من الترجمات الأخرى بالمعنى الأصلي؛ أي «ثمر النور» عوضاً عن «ثمر الروح».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧